AKADEMİK TARİH VE DÜŞÜNCE DERGİSİ
Academic Journal of History and Idea

Research Article

Received: 20.01.2026 **Accepted: 30.03.2026**

Bouache Hacina*
https://orcid.org/0009-0002-5644-7912

إشكالية الهوية بين الانتماء والاغتراب: رواية الموج والحشيش لحياة قاصدي أنموذجًا

The Problematic of Identity Between Belonging and Alienation: Hayat Kasdi's *Al-Mawj wa al-Hashish* as a Model

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل آليات تشكّل الهوية في سياق الاغتراب في رواية *الموج والحشيش* للكاتبة الجزائرية حياة قاصدي، من خلال استقراء العلاقة الجدلية بين الأنا المهاجرة والآخر الغربي كما يبنيها النص الروائي. وتنطلق الدراسة من سؤالين رئيسين: كيف تُنتج الرواية خطاب الهوية المتشظية في سياق المنفى؟ وكيف يتمثّل الاغتراب فيها بوصفه حالة وجودية تتجاوز حدود التجربة العابرة؟ وللإجابة عن هذين السؤالين، تعتمد الدراسة مقاربةً مزدوجة تجمع بين التحليل السيميائي للرموز الثقافية والمكانية واللغوية، والنقد الثقافي في تفكيك خطابات الهوية وآليات الهيمنة. وتُطبَّق هذه المقاربة من خلال تحليل الفضاء السردي، وبنية الشخصيات، والحوار، والخطاب الداخلي. وتخلص الدراسة إلى أن الرواية تمثل فضاءً سرديًا لكشف أزمة الهوية، حيث تبدو الشخصيات معلّقة بين وطن يستمر في الذاكرة ومجتمع مستضيف تنكشف داخله أشكال من الإقصاء والتهميش. كما يظهر الاغتراب في أبعاده النفسية والمكانية والاجتماعية، في حين يجسّد الجيل الثاني صورةً مركبةً للهوية ناتجةً عن التوتر بين الذاكرة الموروثة والواقع المعاش.

الكلمات المفتاحية :الهوية، الاغتراب، الأنا، الآخر، الانتماء، الصراع الثقافي.

* *Lecturer Class A, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Languages, M'Hamed Bougara University, Algeria, h.bouache@univ-boumerdes.dz.*

Citation: Hacina, B. (2026). إشكالية الهوية بين الانتماء والاغتراب: رواية الموج والحشيش لحياة قاصدي أنموذجًا. *Akademik Tarih ve Düşünce Dergisi, 13*(2). 1-8. *https://doi.org/10.46868/atdd.2026.1099*

Copyright and License Statement — *© 2026 Akademik Tarih ve Düşünce Dergisi (Academic Journal of History and Idea). This article is published as an open access article under the terms of the Creative Commons Attribution–NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). The article may be used, shared, adapted, distributed, and reproduced in any medium or format for non-commercial purposes, provided that appropriate credit is given to the author(s) and the journal. The authors are solely responsible for the scientific, legal, and ethical content of the article; the editors and editorial board disclaim all responsibility.*

Abstract

This study examines the mechanisms through which identity is formed under conditions of alienation in Hayat Kasdi's novel Al-Mawj wa al-Hashish, through an analysis of the dialectical relationship between the migrant self and the Western other as constructed by the narrative text. It is guided by two central questions: how does the novel produce a discourse of fragmented identity in the context of exile, and how is alienation represented as an existential condition that exceeds the limits of a temporary experience? To address these questions, the article adopts a dual analytical framework combining semiotic analysis of cultural, spatial, and linguistic signs with cultural criticism concerned with deconstructing identity discourses and structures of domination. This framework is applied through the analysis of narrative space, character construction, dialogue, and interior discourse. The study argues that the novel constitutes a narrative site for revealing the crisis of identity, where characters appear suspended between a homeland preserved in memory and a host society within which forms of exclusion and marginalization become visible. Alienation emerges in its psychological, spatial, and social dimensions, while the second generation embodies a complex mode of identity shaped by the tension between inherited memory and lived reality.

Keywords: *identity; alienation; self; other; belonging; cultural conflict; exile; postcoloniality.*

مقدمة

تطرح رواية "الموج والحشيش" للكاتبة الجزائرية حياة قاصدي إشكاليةً تتصل بطبيعة الهوية في سياق المنفى والاغتراب، وهي إشكالية تتجاوز الوصف المباشر للمعاناة الفردية لتلامس أسئلة أوسع تتعلق بمعنى الاغتراب وكيفية تشكّل الذات حين تفصل المسافات بين الجسد ووطنه. وتنطلق هذه الدراسة من السؤال الرئيس الآتي: كيف تُنتج رواية "الموج والحشيش" خطابًا للهوية المتشظية في سياق المنفى؟ وكيف يتمثّل الاغتراب فيها بوصفه تجربة وجودية للذات المهاجرة؟

ويتفرّع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية، من أبرزها: كيف يؤثر الآخر الغربي في تشكيل الوعي الذاتي لدى الشخصيات؟ وما العلاقة بين الاغتراب المكاني والبنية النفسية للهوية في الرواية؟ وكيف تجسّد أزمة الجيل الثاني تناقضات الهوية المركبة الناتجة عن التوتر بين الذاكرة الموروثة والتكيّف مع الواقع المستضيف؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، تعتمد الدراسة مقاربةً مزدوجة تجمع بين السيميائية الثقافية بوصفها أداةً لقراءة الرموز والعلامات الدالة في النص، ولا سيما ما يتصل بالفضاء والجسد واللغة والدين، وبين النقد الثقافي بوصفه إطارًا لتحليل خطابات الهيمنة وعلاقات القوة وأنماط الاستبعاد المرتبطة بأزمة الهوية. وتُطبَّق هذه الأدوات على البنى السردية من خلال تحليل الفضاء، ودراسة صوت السارد في علاقته بخطاب الشخصيات، وتتبع الحوار بوصفه مجالًا للصراع الهوياتي.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من محدودية الدراسات النقدية التي تناولت أدب المهجر الجزائري المعاصر المكتوب بالعربية، ومن قدرة رواية حياة قاصدي على تمثيل قضايا الهجرة وأزمة الهوية في سياقها الراهن. كما تسعى الدراسة إلى الإسهام في النقاش الأكاديمي المتصل بالسرد العربي المعاصر وطرائق تمثيله لتجربة الاغتراب وبناء الهوية في المنفى.

الهوية: مفاهيم وحقول معرفية

يُعدّ مفهوم الهوية من أكثر المفاهيم تداولًا وتشعّبًا في حقول الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والنقد الثقافي. وقد شهد هذا المفهوم تطورًا تاريخيًا انتقل من التصورات اليونانية القائمة على مبدأ التطابق والثبات، إلى تصورات القرون الوسطى التي ربطته بالانتماء إلى الجماعة، وصولًا إلى المقاربات الحديثة التي أبرزت طابعه المركب والمتحول.

وفي الفكر النفسي الحديث، رأى فرويد أن الهوية لا تتشكّل في حالة سكون، بل في سياق توترات وصراعات متعددة، تشمل علاقة الذات بذاتها، وعلاقتها بالآخر، فضلًا عن التفاعل بين مكوّنات الجهاز النفسي: الهو والأنا والأنا الأعلى (Boulafaa, 2023, p. 190). ويتقاطع هذا التصور مع ما طرحه أليكس ميكشيللي(Alex Mucchielli) ، الذي نظر إلى الهوية بوصفها نسقًا من المعايير يتيح للفرد تعريف نفسه، كما ترتبط بجملة من المشاعر المتداخلة، مثل الشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة (Mucchielli, 1993, p. 15).

وعلى المستوى الثقافي، تمثل مساهمة إدوارد سعيد مرجعًا أساسيًا في دراسة الهوية وتمثلاتها، إذ بيّن أن الغرب لم يتعامل مع الشرق بوصفه واقعًا موضوعيًا، بل أعاد إنتاج صورته ضمن أنماط تمثيلية ارتبطت بعلاقات القوة والهيمنة (Said, 2006, p. 10). ويسهم هذا المنظور في فهم الكيفية التي تتشكل بها هوية المهاجر العربي في السياقات الغربية من خلال تفاعل مزدوج بين تعريف الذات لنفسها والتمثلات التي ينتجها الآخر عنها.

أما أمين معلوف، فيؤكد تعدد الهويات واستحالة اختزالها في بعد واحد، مشيرًا إلى أن الإنسان يحمل انتماءات متداخلة تشمل اللغة والثقافة والمعتقدات والتاريخ الشخصي (Maalouf, 2024, p. 14). ويتقاطع ذلك مع طرح عبد الله العروي الذي ينظر إلى الهوية بوصفها شعورًا بالانتماء إلى مجتمع مشترك، مع تأكيده أن هذا الشعور يظل خاضعًا للتحول التاريخي ولا يتسم بالثبات المطلق (Laroui, 2020, p. 91). وتبرز أهمية هذا الفهم الديناميكي في قراءة الروايات التي تتناول تجارب الهجرة والعيش بين أزمنة وفضاءات متعددة.

الهوية السردية: الإطار النظري للتحليل

إذا كانت الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية قد أسهمت في بلورة مفهوم الهوية وتحديد أبعاده المختلفة، فإن النقد الأدبي والسردي يقدّم أدوات أكثر دقة لدراسة هذا المفهوم داخل النصوص الروائية. فالرواية، بما تتضمنه من أصوات متعددة ورؤى متباينة، تمثل مجالًا مناسبًا لتمثل الهوية في حالتي تشكّلها وتحولها، لا في صورتها الثابتة والمكتملة.

يرى بول ريكور في كتابه *الزمان والسرد* أن الهوية السردية لا تُفهم بوصفها معطى ثابتًا، بل تتكوّن عبر الزمن من خلال التفاعل بين الأحداث والشخصيات. ومن هذا المنظور، تصبح حياة الشخصية قصة تُروى، وهو ما يمنحها قدرًا من الاتساق الدلالي (Ricoeur, 2006, p. 74). ويسهم هذا التصور في قراءة شخصيات رواية قاصدي، إذ تتحدد هوياتها من خلال مسارها الزمني وصلتها بالذاكرة وتجربة المنفى.

ومن زاوية أخرى، يذهب ميخائيل باختين إلى أن الهوية في السرد تتشكل عبر التفاعل الحواري بين الشخصيات، بحيث لا تظهر بوصفها جوهرًا ثابتًا، بل بوصفها نتاجًا لتعدد الأصوات وتداخلها داخل النص (Todorov & Bakhtine, 1996, p. 102). ويتيح هذا المنظور فهم الكيفية التي تقدّم بها الرواية هويات متجاورة أو متعارضة ضمن بنية سردية متعددة الأصوات.

أما جيرار جنيت، فيربط الهوية السردية بتقنيات السرد ذاتها، مثل السارد، ووجهة النظر، وتنظيم الزمن، مؤكدًا أن تمثل الشخصية قد يتغير تبعًا لزاوية السرد والجهة التي تتولى الحكي (Genette, 2000, p. 88). وتفيد هذه المقاربة في تحليل الكيفية التي تعيد بها الرواية بناء شخصياتها من الداخل عبر الوسائط السردية، بدل الاكتفاء بالتوصيف الخارجي المباشر.

وعليه، يشكّل هذا الثالوث المفاهيمي، المتمثل في ريكور (الهوية السردية الزمنية)، وباختين (الهوية الحوارية)، وجنيت (الهوية وتقنيات السرد)، إطارًا نظريًا رئيسًا ستعتمد عليه الدراسة في قراءة النص الروائي في المحاور الآتية.

الوطن والهوية: بين الذاكرة والفقدان

الوطن رمزًا للهوية المرجعية

تنطلق الرواية من الوطن بوصفه مرجعًا هوياتيًا مركزيًا، لا باعتباره مكانًا جغرافيًا فحسب، بل بوصفه فضاءً رمزيًا ترتبط به الذاكرة والانتماء والمعنى. فمنذ التوطئة، تمنح الكاتبة الوطن دلالة وجدانية كثيفة، إذ تقول: "تلك الجثث العابرة التي تصدح أناشيدها الأخيرة للوطن... إلى قلوبهم وهي تعيد ترتيب دقاتها على أمواج البحر، إلى كل من حمل حقيبة سفر رفضت أن تدسّ في ثناياها قلبه، ليتركه هناك مع النوارس وعناقيد العنب وأول بهجة عرفها... بهجة الحب (Kasdi, 2021, p. 5).

يشير هذا المقطع، من منظور ريكور، إلى أن الشخصية المهاجرة لا تبدأ مسارها السردي من فضاء المهجر، بل تظل مشدودة إلى وطن سابق يستمر بوصفه مصدرًا أساسيًا للدلالة. فالرحيل لا يؤدي إلى انفصال كامل، بل ينتج وجودًا منقسمًا بين جسد يقيم في المهجر ووعي يظل مرتبطًا بالوطن. وبهذا المعنى، يتجاوز الوطن كونه موضعًا جغرافيًا ليغدو عنصرًا مؤسسًا في بناء المعنى الذاتي للشخصية.

الذاكرة والحنين بوصفهما آليتين للمقاومة

تؤدي الذاكرة لدى الشخصيات المهاجرة وظيفة تتجاوز الحنين العاطفي، إذ تصبح وسيلة للحفاظ على الاستمرارية الهوياتية في مواجهة الاغتراب. ويتجلى ذلك في شخصية نعيمة التي غادرت الجزائر في سن مبكرة، لكنها تحتفظ بصورة وطنية راسخة في وجدانها. يقول النص:

"مازالت ذاكرتها القوية تنام بداخلها كل كبيرة وصغيرة عن وطن أمضت فيه أولى سنوات طفولتها، تعلّقت بتلك الشواطئ التي تبني على تلالها وطنًا بداخلها لا يرحل أبدًا.(Kasdi, 2021, p. 34).

تكشف عبارة "وطنًا بداخلها لا يرحل أبدًا"، من منظور باختين، أن الهوية لا تتحدد فقط من خلال علاقتها بالآخر، بل من خلال الحوار المستمر مع الذاكرة الذاتية. فالوطن هنا يتحول إلى حضور داخلي يستمر رغم الغياب المكاني. غير أن هذا الحضور لا يخلو من توتر، لأنه يجعل تجربة الغربة مؤقتة في الوعي حتى وإن طالت في الواقع. ويعبّر النص عن هذا التوتر بلسان إحدى الشخصيات:

"لماذا نغادر وطنًا ثم نبكيه، لماذا تحاصرنا أسوار البحر المستعصية وترمي بنا نحو المجهول؟.(Kasdi, 2021, p. 34).

يبرز هذا السؤال مفارقة أساسية في بنية الهوية كما تقدمها الرواية، إذ لا تؤدي الهجرة إلى محو الوطن من الوعي، كما لا تتيح في الوقت نفسه استعادة العلاقة الأولى به. ومن ثمّ، تبقى الشخصية معلّقة بين ضرورة الرحيل واستمرار الانتماء، وهو توتر يشكّل أحد المحاور المركزية في البناء الهوياتي للرواية.

الآخر الغربي وديناميات الهيمنة

تقدّم الرواية الآخر الغربي في ضوء ذاكرة استعمارية تلقي بظلالها على علاقة المهاجرين به، بحيث لا يظهر في النص بوصفه طرفًا محايدًا بالكامل، بل باعتباره فاعلًا تاريخيًا يرتبط بسياقات سابقة تؤثر في الحاضر السردي. ويتجلى هذا البعد في مشهد النقاش داخل مدرجات كلية الصحافة، حيث يقول النص:

"في مدرجات كلية الصحافة يحتدم النقاش يوميًا بين الأساتذة والطلبة حول قضايا تتعلق بفرنسا الاستعمارية وتاريخها الصحفي، حيث يتم التطرق إلى دور الأفارقة وبلدان المغرب العربي في الحروب العالمية.(Kasdi, 2021, p. 79).

ولا يقتصر هذا المقطع على استحضار وقائع تاريخية، بل يكشف أيضًا عن استمرار الذاكرة الاستعمارية في تشكيل وعي الشخصيات ومواقفها. فالإحالة إلى مشاركة شعوب المستعمرات السابقة في الحروب العالمية تتحول إلى خطاب يستند إليه المهاجر للمطالبة بالاعتراف والإنصاف، كما يتضح في قول إحدى الشخصيات:

"لا ننسى يا أستاذ، لقد شارك عدد من شعوب المعمورة في الحربين وكان الهدف هو حرية الشعوب، لكن من هي هذه الشعوب التي لها الحق وحدها في نيل الحرية دون سواها.(Kasdi, 2021, p. 79).

ويشير هذا الخطاب إلى أن الهوية لا تتشكل فقط عبر الانتماء الثقافي أو الوطني، بل أيضًا عبر استدعاء التاريخ المشترك بوصفه أداة رمزية للمطالبة بالمكانة والاعتراف داخل المجتمع المستضيف.

كما تعرض الرواية علاقة الذات بالآخر من خلال تمثيل أثر الأحداث الأمنية في تصاعد مشاعر الوصم تجاه المهاجرين المسلمين، إذ يرد في النص:

"هذه الأحداث هدية رائعة بالنسبة لليمين المتطرف، طبق دسم يسعد هؤلاء في كل مناسباتهم الانتخابية، وكلما سمحت لهم الفرصة في مهاجمة الجالية المسلمة ليحملها هذا الحزب مآسي فرنسا وأزماتها.(Kasdi, 2021, pp. 87-88).

يوظّف النص هذا السياق السياسي لإبراز الكيفية التي يمكن أن تتحول بها الأزمات العامة إلى آلية لإنتاج صور نمطية عن الجماعات المهاجرة. وهنا تبرز آلية الإقصاء الرمزي التي أشار إليها إدوارد سعيد، حيث لا يُفهم الآخر انطلاقًا من تعقيده الداخلي، بل يُعاد تمثيله ضمن تصورات جاهزة ترتبط بمنطق القوة والهيمنة.

الاغتراب: مستوياته وتجلياته في الرواية

يتوزع الاغتراب في رواية "الموج والحشيش" على ثلاثة مستويات متداخلة: الاغتراب النفسي، والاغتراب المكاني، والاغتراب الاجتماعي. ولا تظهر هذه المستويات بوصفها عناصر منفصلة، بل بوصفها أبعادًا متفاعلة تسهم مجتمعة في تشكيل تجربة المنفى كما يقدمها النص الروائي.

الاغتراب النفسي: الذات في مواجهة نفسها

يتجلى الاغتراب النفسي في الرواية في الحالة التي تصبح فيها الذات بعيدة عن ذاتها قبل أن تكون بعيدة عن المجتمع المحيط بها. ويظهر ذلك من خلال الحنين المزمن الذي يحوّل الأشياء اليومية البسيطة إلى رموز مشحونة بالدلالة، كما في قول النص:

"عندما تعود العائلة إلى فرنسا تحمل معها ذكريات جميلة، حنين فائض مع علب التين وقطع الحلوى وروائح الزيتون، وأحلام بالعودة ذات يوم.(Kasdi, 2021, p. 59).

فالتين والحلوى والزيتون لا تُقدَّم هنا بوصفها أشياء مادية فحسب، بل بوصفها علامات سيميائية تحيل إلى وطن غائب وهوية راسخة في الذاكرة. وهي تؤدي وظيفة دلالية تستدعي العالم المفقود داخل وعي الشخصية، بما يبرز اعتماد الرواية على الإيحاء الرمزي إلى جانب الوصف المباشر للحنين.

ويتخذ الاغتراب النفسي بعدًا أكثر تعقيدًا حين تعجز الشخصيات عن تحقيق توازن هوياتي داخل مجتمع تشعر فيه بعدم الاعتراف الكامل. ويتجسد ذلك في تصوير معاناة الشباب المهاجر، إذ تقول الساردة:

"جيل يختنق بفعل فشله في إيجاد مكانه المناسب في مجتمع غريب عنه في الهوية والثقافة والدين، فعجز عن تأدية دوره في شق الطريق السليم، كيف له أن يتخلص من شحنته السلبية ويتحرر من عقده وهذه العملية تبدو جد صعبة؟.(Kasdi, 2021, p. 75).

يشير هذا المقطع إلى أن الأزمة النفسية لا ترتبط بعامل واحد، بل تتولد من تداخل عناصر متعددة، منها ثقل الذاكرة التاريخية، والاختلاف الثقافي، وصعوبة التوفيق بين الانتماءات المتعددة. ومن ثمّ، يظهر الاغتراب النفسي بوصفه تجربة مركبة تتجاوز حدود المعاناة الفردية المباشرة.

الاغتراب المكاني: الفضاء بوصفه منتجًا للهوية

يؤدي المكان في الرواية وظيفة تتجاوز كونه إطارًا للأحداث، إذ يتحول إلى عنصر دلالي يسهم في تشكيل تجربة الاغتراب. وتشكّل المدن الثلاث، باريس ومرسيليا والجزائر، نظامًا من التقابلات السيميائية التي تعبّر عن أوضاع وجودية مختلفة. فباريس تُقدَّم بوصفها فضاءً يفرض على الشخصيات أنماطًا من التكيف والضغط، في حين تظهر مرسيليا، رغم قربها الجغرافي من الضفة الأخرى، ضمن المناخ ذاته من التوتر، كما يرد في النص:

"في مرسيليا لم يكن الحال مختلفًا عن باريس، الجوّ متوتّر بالنّسبة للجالية المسلمة، الحرج لا يمكن تصوره وأنت تعيش في قلب المجتمع الأوروبي في مثل هذه الأيام وهذه الظروف الصعبة.(Kasdi, 2021, p. 94).

ويوحي هذا التوازي بين المدينتين بأن الرواية تقدّم الفضاء الأوروبي بوصفه مجالًا متوترًا بالنسبة إلى الشخصيات المهاجرة المسلمة. كما تعمّق الرواية هذا التصور من خلال مقطع يجسد ثنائية الحضور والغياب في المكان نفسه، إذ تقول الساردة:

"إنه كالحرف الذي خلى من نقطته، إنّه يعاني شرخًا ولا يدري إلى أي ثقافة ينتمي، بين اختياره ووجدانه هو ضائع في دوامة العقدة الجوهرية، أي بلد هو بلده وأي دين هو دينه.(Kasdi, 2021, p. 94).

تكشف الاستعارة السيميائية في عبارة "كالحرف الذي خلى من نقطته" عن دلالة عميقة، إذ إن الحرف يفقد تمام معناه بغياب نقطته، وكذلك الشخصية المهاجرة تفقد قدرًا من اكتمالها الرمزي حين تنفصل عن بعض عناصر تعريفها، مثل الوطن واللغة والدين. ومن هذا المنظور، لا يكتفي المكان بتحديد الهوية، بل يسهم أيضًا في إبراز توتراتها وحدودها.

الاغتراب الاجتماعي: الهوية بوصفها مصدرًا للتوتر

يُضاف إلى الاغتراب النفسي والمكاني بُعد اجتماعي يتمثل في الكيفية التي يمكن أن تتحول بها هوية المهاجر المسلم داخل المجتمع المستضيف من سمة شخصية إلى موضوع للريبة أو التوجس. ويتجلى ذلك في تناول الرواية لتداعيات حادثة شارلي إيبدو، إذ تقول فاطمة، إحدى الشخصيات:

"من منّا يستطيع الخروج إلى الشارع الآن خاصة نحن النساء؟ حجابنا يظهر هويتنا المسلمة بوضوح، وقد نتعرض لعملية انتقام من قبل بعض المتطرف.(Kasdi, 2021, p. 87).

تكشف عبارة "حجابنا يظهر هويتنا المسلمة بوضوح" مفارقة ذات دلالة سيميائية، إذ يتحول الحجاب، بوصفه علامة دينية وثقافية تعبّر عن الانتماء، إلى علامة اجتماعية قد تستدعي الخوف أو الإقصاء في بعض السياقات. وبهذا المعنى، تبرز الرواية كيف يمكن للرموز المرتبطة بالهوية أن تنتقل من مجال التعبير الذاتي إلى مجال التوتر الاجتماعي.

كما توظّف الرواية السياق السياسي لتصوير تصاعد الصور النمطية تجاه الجاليات المسلمة، حين تشير إلى استثمار بعض التيارات اليمينية للأحداث العامة في تكريس خطاب الوصم. ويكشف هذا التمثيل السردي آلية من آليات الإقصاء الرمزي، حيث يُعاد تعريف الجماعة من الخارج ضمن تصورات مسبقة، بدل فهمها في ضوء تنوعها وتعقيدها الداخلي.

ويتجسد هذا البعد أيضًا في شخصية كمال، الذي يسعى إلى الاندماج من خلال اللغة والمظهر وأسلوب الحياة، ومع ذلك يظل عرضة للتصنيف المسبق، كما يرد في النص:

"كان كمال يحرص على أن يظهر فرنسيًا في طريقة لباسه ومرونة حديثه، لكن سمرته في إيحاءاتها المغاربية تسهّل على المتصفّح فيه أن يكتشف بسهولة أنه ليس من أصول فرنسية، إذن هو ليس فرنسيًا.(Kasdi, 2021, p. 40).

يشير هذا المقطع إلى أن الاعتراف الاجتماعي بالانتماء لا يقوم دائمًا على الممارسة الثقافية أو الاندماج اللغوي، بل قد يتأثر أيضًا بعناصر مرتبطة بالمظهر والأصل المتخيَّل. ومن ثمّ، يظهر الجسد هنا بوصفه حاملًا لعلامات تُسهم في تشكيل نظرة الآخر، بما يعمّق تجربة الاغتراب الاجتماعي داخل النص.

الجيل الثاني: الهوية بين الذاكرة الموروثة والواقع المعاش

يمثل الجيل الثاني من المهاجرين، الذين وُلدوا في فرنسا أو نشؤوا فيها، حالة أكثر تعقيدًا في أزمة الهوية، لأنهم لا يحملون ذاكرة مباشرة عن الوطن الأول، بل يتلقون عنه صورة موروثة مشبعة بتجارب الآباء ومشاعرهم. وتبرز الرواية هذه الإشكالية من خلال علاقة فاطمة بابنها سفيان، الذي يولد في المهجر، فتقول الساردة:

"سفيان غيّر ذوق المدينة الغريبة، جعل فاطمة ترسو على بر الأمان... منح ميلاده لفاطمة التأقلم مع هذي الأرض الغريبة، وستجد مع مرور الأيام فيها شيئًا من الألفة التي قد تشبه ألفة الوط.(Kasdi, 2021, p. 39).

يشير هذا المقطع، من منظور ريكور، إلى أن الانتماء إلى المكان الجديد لا يتشكل من خلال الجغرافيا وحدها، بل عبر السرد العائلي والعلاقات الإنسانية التي تمنح الفضاء معنى قابلًا للعيش. غير أن الابن نفسه يجد نفسه داخل هوية مركبة تتداخل فيها مرجعيات متعددة لا يختارها بصورة كاملة.

وتوضح الرواية هذه الإشكالية عند حديثها عن الجيل الجديد، إذ يرد في النص:

"تأتي أجيال تستوعب بتقنياتها الفكرية أمورًا تتعلق بموروثنا الثقافي المنبعث من جوهر الدين، حينما يكون الهدف ذا قيمة عالية يبحثون عن المبرر والتفسير الذي يحررهم من بعض ما يتراءى لهم قيودًا بالية لا معنى لوجودها.(Kasdi, 2021, p. 40)

يكشف هذا المقطع عن حالة من التفاوض الثقافي والفكري تميز الجيل الثاني، فهو يحمل الموروث الثقافي، لكنه يعيد تأويله في ضوء أدوات تفكير اكتسبها من البيئة الجديدة. ومن ثمّ، لا تقوم هويته على الرفض المطلق أو القبول المطلق، بل على التوفيق المستمر بين مرجعيات متعددة.

وحين تتعثر هذه المفاوضة في إنتاج توازن مستقر، يصبح بعض الشباب أكثر قابلية للبحث عن أشكال بديلة من الانتماء، وهو ما تشير إليه الرواية عند حديثها عن اختيار بعضهم "دربًا مظلمًا" بدل "الحلول السليمة". ويمكن قراءة هذا المسار بوصفه عرضًا اجتماعيًا لأزمة هوية تتجاوز المسؤولية الفردية وحدها.

كما تحضر إشكالية الذاكرة الموروثة في علاقة الجيل الثاني بالدين، إذ لا يُقدَّم الدين دائمًا بوصفه اختيارًا فرديًا خالصًا، بل بوصفه إرثًا ينتقل عبر الأسرة والجماعة. وفي بعض السياقات، قد يتحول هذا الإرث من علامة انتماء إلى موضوع للريبة، وهو ما يضيف بعدًا آخر إلى تعقيد الهوية لدى الجيل الثاني كما تصوره الرواية.

خاتمة

تبيّن هذه الدراسة أن رواية "الموج والحشيش" لحياة قاصدي لا تقتصر على تقديم وصف اجتماعي لتجربة المهاجر الجزائري في فرنسا، بل تبني تصورًا سرديًا متماسكًا يتيح مساءلة قضايا الهوية والاغتراب والانتماء من زوايا متعددة. ومن خلال البنية السردية والشخصيات والفضاءات الرمزية، يقدّم النص رؤية تتجاوز المستوى التسجيلي المباشر إلى مستوى التحليل الثقافي والإنساني لتجربة المنفى.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الرئيسة. أولًا، أن الهوية في الرواية لا تُقدَّم بوصفها جوهرًا ثابتًا، بل بوصفها بناءً متحركًا يتشكل عبر التفاعل بين الذات والآخر، وبين الذاكرة والزمن، وبين الانتماء والمكان. ثانيًا، أن الاغتراب يظهر في ثلاثة مستويات متداخلة: نفسي، ومكاني، واجتماعي، بحيث يسهم كل مستوى في تعميق الآخر، ويكوّن مجتمعةً تجربة مركبة من الانفصال وعدم الاستقرار. ثالثًا، أن الجيل الثاني يمثل موقعًا مركزيًا في الرواية، إذ تتكثف فيه أبرز مظاهر أزمة الهوية، من خلال التوتر بين الذاكرة الموروثة والواقع المعاش، وبين المرجعية الثقافية الأصلية ومتطلبات الاندماج في المجتمع الجديد. رابعًا،

أن الكاتبة توظّف الفضاء السردي توظيفًا دلاليًا واضحًا، حين تجعل من باريس ومرسيليا والبحر عناصر رمزية تسهم في إنتاج معاني الاغتراب، ولا تقتصر على كونها أمكنة تجري فيها الأحداث. خامسًا، أن صورة الآخر الغربي في الرواية تأتي في صيغة مركبة تتجاوز التقابل الثنائي المبسط، إذ يظهر بوصفه مجالًا للتوتر والتفاوض والاعتراف، بقدر ما يرتبط في بعض المواضع ببنى تنتج أشكالًا من الإقصاء.

وتسهم هذه الدراسة في حقل السرد العربي المعاصر من زاويتين متكاملتين: فمن جهة، تبرز قدرة نص جزائري معاصر على مقاربة أسئلة الهوية والهجرة ضمن أفق إنساني أوسع؛ ومن جهة أخرى، تقدم نموذجًا تحليليًا يجمع بين السيميائية الثقافية والنقد الأدبي في دراسة روايات المنفى والمهجر. كما يظل المجال مفتوحًا أمام دراسات لاحقة يمكن أن تتناول التعدد اللغوي وأثره في تشكّل الهوية في أدب المهجر الجزائري المعاصر.

References

Boulafaa, K. (2023). Al-riwayah al-Jaza'iriyyah al-mu'asirah wa-ishkaliyyat al-huwiyyah: Kitabat Wasini al-A'raj anmudhajan. *Majallat al-Lughah al-'Arabiyyah, 25*(64), 190–206. (In Arabic).

Genette, G. (2000). *Khitab al-hikayah: Bahth fi al-manhaj* (M. Mu'tasim et al., Trans.). Maktabat Bustan al-Ma'rifah. (Original work published 1972). (In Arabic).

Kasdi, H. (2021). *Al-mawj wa-al-hashish* (Vol. 2). Dar al-Amir. (In Arabic).

Laroui, A. (2020). *Mafhum al-hurriyyah*. Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi. (In Arabic).

Maalouf, A. (2024). *Al-huwiyyat al-qatilah* (N. Baydun, Trans.). Dar al-Farabi. (Original work published 1998). (In Arabic).

Mucchielli, A. (1993). *Al-huwiyyah* (A. Watfa, Trans.). Dar al-Wasim lil-Khidamat al-Tiba'iyyah. (Original work published 1986). (In Arabic).

Ricoeur, P. (2006). *Al-zaman wa-al-sard: Al-habkah wa-al-sard al-tarikhi* (Vol. 1, S. al-Ghanimi et al., Trans.). Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah. (Original work published 1983). (In Arabic).

Said, E. W. (2006). *Al-istishraq: Al-mafahim al-gharbiyyah lil-sharq* (M. 'Inani, Trans.). Dar Ru'ya. (Original work published 1978). (In Arabic).

Todorov, T., & Bakhtin, M. (1996). *Al-mabda' al-hiwari* (F. Salih, Trans., Vol. 2). Al-Mu'assasah al-'Arabiyyah lil-Dirasat wa-al-Nashr; Dar al-Faris lil-Nashr wa-al-Tawzi'. (In Arabic).